



خطبة صلاة الجمعة 7 / 2 / 2025 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

### (ترك الشحاء استعداداً لرمضان)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتبا، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنُصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ \* وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 62-63].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه قال رسول الله ﷺ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيَعْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا».

وأخرج البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُ الْخَصِمُ».

عنوان خطبة اليوم:

### ترك الشحاء استعداداً لرمضان

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يَصُومُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ» [البخاري].

وفي رواية مسلم: «كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ، كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا».

وعن أسامة بن زيد قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: «ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ، بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ» [النسائي].

وعن أم المؤمنين عائشة، قالت: فقَدْتُ رسولَ الله ﷺ ليلةً، فإذا هو بالبقيع، فقال: «أَكُنْتُ تَخَافِينَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ؟»، قلتُ: يا رسولَ الله إني ظننْتُ أَنَّكَ أَتَيْتَ بَعْضَ نِسَائِكَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ لَيْلَةَ التَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَغْفِرُ لَأَكْثَرِ مَنْ عَدَدَ شَعْرٍ غَنِمَ كَلْبٍ» [الترمذي].  
وروى الإمام البيهقي عن رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ لَيْلَةَ التَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ أَطَّلَعَ اللَّهُ إِلَى خَلْقِهِ فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِ، وَيُعْلِي لِلْكَافِرِينَ، وَيَدْعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدْعُوهُ».

وفي رواية عند البزار: «إِذَا كَانَ لَيْلَةَ التَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَغْفِرُ لِعِبَادِهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ لِأَخِيهِ».

ليس أروحَ للمرء، ولا أطرَدَ لهمومِهِ، ولا أقرَّ لعينِهِ، من أن يعيشَ سليمَ القلبِ، مُبرِّئاً من الضَّغائن والأحقادِ.

وليس أمرضَ للقلبِ، ولا أتلفَ للأعصابِ، ولا أوجعَ للرُّوحِ من أن يمتلئَ القلبُ حقدًا، وتمتلئَ النَّفسُ كُرْهًا، والرُّوحُ نفرةً وشحناءً.

وقد سئل رسول الله ﷺ: أيُّ النَّاسِ أفضل؟ قال: «كُلُّ مَحْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قالوا: صدوقُ اللِّسَانِ نعرفُهُ، فما مَحْمُومُ القلبِ؟ قال: «هُوَ التَّقِيُّ النَّفْسِي، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيٍ، وَلَا غِلٍّ، وَلَا حَسَدٍ» [ابن ماجه].

والخصومةُ إذا نمتَ بين المسلمين، وغارتَ جذورُها، وتفرَّعتْ أشواكها، أضرتَ بالإيمانِ وعكَّرتَ عليه.  
قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟»، قالوا: بلى، قال: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ. وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ» [أبو داود].

ولعلَّ الشَّيْطَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْعَلَ الْمُسْلِمَ عَابِدَ صَنْمٍ، فَيُلْجَأُ إِلَى التَّحْرِيشِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَخِيهِ مَوْقِعًا بَيْنَهُمَا الْبَغْضَاءَ وَالشَّحْنَاءَ، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ» [مسلم]. أي: ولكنه يسعى في التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ بِالْخُصُومَاتِ وَالشَّحْنَاءِ وَالْحُرُوبِ وَالْفِتَنِ وَغَيْرِهَا.

لهذا - والله أعلم - كانت ليلة التّصّف من شعبان ممّهدةً لرمضان بالمغفرة، ما خلا أهل الشّحناء والخصومة والبغضاء، وفي هذا دعوة لكلّ منّا أن يُراجِع نفسه؛ فيصِل من قَطَعه، ويمسح من قلبه الأضغان حتّى يستقبل رمضان بقلب سليم، خاصّةً إذا كانت هذه الشّحناء واقعةً بين أخوين، أو بين زوجين، أو بين ذوي رحم، أو بين صديقين، أو بين شريكين، أو بين جارين...

قال رسول الله ﷺ: «**وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا**» [البخاري].

وقد ينشُب بين رجلٍ وآخر خصومةٌ، وهو في هذا أحد رجلين: إمّا أن يكون ظالماً أو مظلوماً، فليراجع أحدنا نفسه، فإن كان ظالماً معتدياً على حقّ أخيه، فقد أمره الإسلام أن يرُدّ الحقّ لأهله، ويُطيّب خاطر صاحبه، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ**» [البخاري].

وإن كان صاحب حقّ فقد رغب الإسلام إليه أن يلين ويسمح، وأن يمسح الأخطاء بقبول المعذرة عندما يجيء له أخوه مُعتذراً مستغفراً، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ اعْتَذَرَ إِلَى أَخِيهِ بِمَعْذِرَةٍ فَلَمْ يَقْبَلْهَا، كَانَ عَلَيْهِ مِثْلَ حَاطِيَةِ صَاحِبِ مَكْسٍ**» [ابن ماجه]. والمكس: نوعٌ خبيث من نهب المال.

وجاء في رواية عند الحاكم: «... وَمَنْ تَنَصَّلَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَقْبَلْ، لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ».

وفي الأثر عن ابن عباس رضيه الله عنه قال: قال النبي ﷺ على المنبر: «**أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟**» قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله، قال: «**فَإِنَّ شِرَارِكُمْ الَّذِي يَنْزِلُ وَحْدَهُ، وَيَجْلِدُ عَبْدَهُ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ،**» قال: «**أَفَلَا أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ؟**» قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله، قال: «**مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ،**» قال: «**أَوْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ؟**» قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله، قال: «**الَّذِينَ لَا يَقْبَلُونَ عَثْرَةً، وَلَا يَقْبَلُونَ مَعْذِرَةً، وَلَا يَغْفِرُونَ ذَنْبًا،**» قال: «**أَفَلَا أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ**» [الطبراني].

لا يحمل الحقد من تعلق به الرتب ولا ينال العلامن طبعه الغضب

في ختام هذه الخطبة، إذا أردت ألا تقع في شرك الحقد والبغضاء، فعليك بالأمور الآتية:

(1) إعطاء كل ذي حق حقه.

(2) الزيارات وإفشاء السلام: قال رسول الله ﷺ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَخْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَخْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُتْبِعُكُمْ بِمَا يُبَيِّنُ ذَلِكَ لَكُمْ لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» [الترمذي].

قال عطاء الخرساني: تصافحوا يذهب الغلُّ، وتهادوا تحابُّوا وتذهب الشَّحناء.

(3) ترك الغيبة والنميمة: روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك ﷺ قال: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحِيَّتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، فَدَ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى.

فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لَأَحِيثُ أَبِي، فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أُدْخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتُ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتُ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَفْعُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَفْعُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَبِي لَمْ أَسْمِعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثُمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَارٍ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مَرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلِكَ فَأَقْتَدِي بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَائِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَبِي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا تُطِيقُ).

والحمد لله رب العالمين